السجود

غاية الخضوع أمام الله

السيد رضا الحسيني

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

السجود

غاية الخضوع امام الله

السيد رضا الحسيني

دار الهادي
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

تلفون: ٨٣٤٢٦٥ - ٨٢٠٣٢٠ - فاكس: ٦٠٣٣٧٩ - ٨٢١٢٠٣

ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان

عصر النور
وضرورة الحوار

في عصر النور نحن أحوج ما نكون إلى الحوار. الحوار العلمي، البنّاء، النزيه، الهادف الذي يتوخّى توضيح معالم الحقيقة، واستجلاء ملامح الواقع.

الحوار من أجل التقارب، فالتآخي، فإقامة جبهةٍ إسلاميةٍ واحدةٍ عريضةٍ، متماسكةٍ قويةٍ، ترهب عدوّ الله وعدوّ المسلمين، وهذا من القوّة التي أمرنا الله تعالى بإعدادها.

ويجب أن يبدأ الحوار من مناطق الخلاف التي هي في الجزئيات دون الكلّيات، وفي بعض التفاصيل دون الأساسيات، ورحم الله الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين حيث قال: إنّ ما يجمعنا أكثر ممّا يفرّقنا.

إنّ هذا العصر هو عصر التحاور والتحالف ضدّ الإسلام والمسلمين فلماذا لا يكون عصر التقارب والتآلف بين المسلمين عملاً بقوله تعالى: ﴿ **وقاتلوا المشركين كافّة**

يقاتلونكم كافّة ﴾[1] ؟.

بل لماذا لا نصرف عنان أقلامنا إلى بيان مواضع الوفاق بدلاً من إثارة وتكبير مواطن الخلاف؟.

لماذا لا نفعل هذا والعالم متعطّش لمعرفة الإسلام، مقبل على الثقافة الإسلامية بعد سقوط أقوى الأيديولوجيات الملحدة في العالم واندحارها؟.

لماذا لا نتّبع قول الله تعالى إذ يقول: ﴿ **الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنهُ** ﴾ فنعرض القول كلّه ثم نختار أفضله.

لماذا لا نعرض الآراء على بساط البحث في جوّ من الصفاء والإخاء، وبموضوعية وتجرّد ليزول الوهم، وتنداح حجب الشقاق، وتنزاح سحب الخلاف؟.

وهذا الكتاب خطوة على هذا الطريق السليم نسأل الله أن يكون الأوّل وليس الأخير، وهو تعالى نعم المولى ونعم النصير.

جعفر الهادي

---

(١) التوبة: ٣٦.

مقدمة

السجود ـ في نظر الإسلام ـ غاية الخضوع والتواضع البشريّ أمام الله خالق الكون، وربّ العالمين، وذروة التحليق الإنساني في مسيرة «العبودية».

من هنا لا يخبر القرآن الكريم عن سجود الإنسان وحده، بل يخبر عن سجود أجواء الكون كلّها لله سبحانه إذ يقول: ﴿ **ولله يسجد من في السماوات والأرض** ﴾[1].

إنّ المسلمين متّفقون بأجمعهم على وجوب سجدتين في كلّ ركعة من كلّ صلاة، ويعتبرون ذلك من ضروريات الإسلام، إنّما يختلفون في كيفية هاتين السجدتين، وأحكامهما، ولهم فيها آراء متنوعة.

ويرى الشيعة المسلمون وهم الأتباع الصادقون للقرآن الكريم والسنّة المحمدية الشريفة، وسيرة أهل بيته الطيبين، يرون تبعاً لأحاديث رسول الله (ص) وعترته الطاهرة والسيرة

---

(١) الرعد: ١٥.

العملية التي كان عليها أصحابه الكرام أنّ السجود لله يجب أن يكون على الأرض وما ينبت منها (إلّا ما يؤكل ويلبس) لا غير.

ومن جانب آخر يتوسّع المسلمون من أهل السنّة في موضع السجود ويرون أنه لا يجب السجود على خصوص ما ذكر فقط، بل يجوز للإنسان أن يسجد في الصلاة على أشياء أخرى أيضاً.

ممّا ذكر تبيّن بجلاء أنّ كلا الفريقين المسلمين يسجدون بهدف إظهار الخضوع والتواضع لله تعالى، وامتثال أمره، وتوخّياً لرضاه، وطلباً لمرضاته، ولا خلاف بينهم في هذا المجال، وفي هذه النقطة.

وعلى هذا فإنّ ما يقوله بعض الكتّاب الذين تصوّروا أنّ السجود على التراب، أو تربة الشهداء نوع من الشرك، لأنه يعني عبادتهم، وَهْمٌ باطل، وكلامٌ لا أساس له من الصحّة.

وها نحن ـ وللتوضيح الأكثر ـ نطرح في ما يأتي بحثاً يعكس وجهة نظر الشيعة في هذا الصعيد.

(١)

نظرية الشيعة

يذهب أتباع أهل البيت ـ عليهم السلام ـ إلى أنّ السجود لله تعالى إنّما يجوز ـ تبعاً للسنّة والسيرة ـ على خصوص الأرض وما ينبت منها (إلاّ ما يؤكل ويلبس)، ويرجّحون السجود على التراب الذي هو أقوى مظهر لتواضع الإنسان أمام الخالق العظيم يمنح الإنسان رسوخاً وثباتاً أكبر في مقام العبودية، ويقرّبه إلى هدف الخلق أكثر فأكثر.

ولقد ظنّ البعض أن السجود على التراب يعني عبادة التراب، ويعدّ نوعاً من الشرك، ويقولون معترضين: لماذا يسجد الشيعة على التربة؟.

في الإجابة على هذا الاعتراض لا بدّ أن نذكّر بأن «السجود على التراب» يختلف عن «السجود للتراب».

إنّ الاعتراض المذكور يكشف عن أنّ صاحبه لم يفرِّق بين الأمرين. فإن من المسلّم به أن السجود لا يكون إلاّ لله، في

حين أن السجود على التربة لا يعني إلاّ وضع الجبهة حال السجود لله تعالى على التراب تواضعاً لله تعالى، وهذا أمر في غاية الوضوح.

إن المسلمين جميعاً يسجدون أساساً على شيء في حين أن سجودهم جميعاً هو لله، فهل يمكن أن يقال إن سجودهم على ذلك الشيء والحال هذا هو سجود لذلك الشيء، أليس زوّار الكعبة المعظّمة يسجدون على الصخور التي فرشت أرض المسجد الحرام، فهل يمكن لأحد أن يقول إنهم يسجدون لصخور المسجد، والحال أن هدفهم هو السجود لله الحق؟.

بهذا البيان يتضح أن السجود على التربة والنبات وغيرها مما لا يؤكل ولا يلبس لا يعني مطلقاً عبادتها، بل السجود لله بواسطة السجود على التراب فهو سجود على التراب لا للتراب. وهو من أعلى مراتب الخضوع لله سبحانه، لأنه تجلّى في الخضوع إلى حدّ التراب والتتريب للجبين.

كما اتضح ـ كذلك ـ أن السجود على التربة غير السجود للتربة.

وهنا ولأجل إعطاء المزيد من التوضيح لنظرية الشيعة ينبغي أن نشير في هذا المجال إلى مقطع بارز من كلام الإمام جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ الإمام السادس من أئمة المسلمين.

«عن هشام بن الحكم قال: قلت لأبي عبد الله ـ عليه السلام ـ : أخبرني عمّا يجوز السجود عليه وعمّا لا يجوز؟.

قال: السجود لا يجوز إلّا على الأرض إلّا ما أكل ولُبس.

فقلت له: جعلت فداك، ما العلّة في ذلك؟.

قال: لأنّ السجود هو الخضوع لله عز وجل فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأن أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون، والساجد في سجوده في عبادة الله عزّ وجلّ، فلا ينبغي أن يضع جبهته على معبود أبناء الدنيا الذين اغترّوا بغرورها. والسجود على الأرض أفضل لأنه أبلغ في التواضع والخضوع لله عزّ وجلّ»[1].

إنّ هذا الكلام الواضح يكشف بجلاء عن أن السجود على التراب إنّما هو لأجل أن مثل هذا العمل يتناسب مع التواضع أمام الله الواحد أكثر من أي شكلٍ آخر.

وعلى هذا الأساس أشار العالم الشيعي الكبير العلاّمة الأميني رحمه الله في كتابه القيّم «سيرتنا وسنّتنا» إلى هذه الحقيقة وقال:

«والأنسب بالسجدة التي إن هي إلاّ التصاغر والتذلّل تجاه عظمة المولى سبحانه ووجاه كبريائه: أن يتخذ الأرض لديها مسجداً يعفّر المصلّي بها خدّه ويرغم أنفه لتذكّر الساجد لله طينته الوضيعة الخسيسة التي خلق منها، وإليها يعود، ومنها

---

(١) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ١٤٧ باب ما يصح السجود عليه الطبعة الثانية ـ بيروت مؤسسة الوفاء عام ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م نقلاً عن علل الشرائع للصدوق.

يعاد تارة أخرى، حتى يتّعظ بها ويكون على ذكر من وضاعة أصله، ليتأتّى له خضوع روحي وذلّ في الباطن، وانحطاط في النفس، واندفاع في الجوارح إلى العبودية، وتقاعس عن الترفّع والأنانية ويكون على بصيرة من أنّ المخلوق من التراب حقيق وخليق بالذلّ والمسكنة ليس إلاّ»[1].

(١) سيرتنا وسنّتنا ص ١٢٥.

(٢)
أدلّة السجود على الأرض وما ينبت منها

وهنا سؤال آخر يُطرح أمامنا وهو: لماذا يصرّ الشيعة على السجود على الأرض (التراب) وما ينبت منها، ولا يسجدون على جميع الأشياء؟.

ولدى الإجابة على هذا السؤال لا بدّ أن نذكّر القارىء الكريم: بأنّه كما أنّ أصل العمل العبادي يجب أن يعيّن من قبل الشرع المقدس، وبعبارة أخرى كما أن أصل العمل العبادي أمر توقيفي يتوقّف على بيان الشرع المقدس وإذنه، كذلك شرائطه وأحكامه هي الأخرى يجب أن توضّح وتبيّن من جانب مبيّن الشريعة ومبلّغها ونعني رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لأن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هو الأسوة بنصّ القرآن الكريم وهو المبيّن للكتاب العزيز، وعلى المسلمين جميعاً أن يتعلموا منه أحكام دينهم، وتفاصيل شريعتهم إذ قال تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان**

يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾[1] . ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾[2] .

وعلى هذا الأساس اقتبسنا في هذا المجال مقاطع بارزة من أحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيرته العملية، ونماذج من كلمات، وسيرة أصحابه والتابعين له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأغلبها من كتب أهل السنّة الحديثية، ونعرضها على القارىء الكريم، ليرى كيف أنها تشهد برمتها على أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصحابته وتابعيه كانوا يسجدون على التراب وما ينبت من الأرض مثل الحصير، تماماً كما يصنع الشيعة الإمامية اليوم في السجود.

وإليك في ما يأتي هذه النصوص الواضحة التي تدل على نظرية الشيعة وهي تعكس نظرة الإسلام الأصيلة.

---

(١) الأحزاب: ٢١.

(٢) الحشر: ٧.

(٣)

سنّة النبي تبيّن كيفية السجود

إنّ كلمات رسول الإسلام محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هي في نظر المسلمين جميعاً النبع الصافي للقانون الإسلامي، وجميع المسلمين التابعين للشريعة الإسلامية يلتزمون باتّباعها والعمل وفقها.

كذلك يعتبر الشيعة أحاديث النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المصدر الأساسي للأحكام الإلهية، ويلزمون أنفسهم باتّباع السنّة المحمدية في جميع الموارد والأصعدة، ومنها صعيد: أحكام السجود.

ولقد روى علماء الإسلام أحاديث كثيرة عن رسول الله (ص) في المسألة المذكورة تبيّن بجلاء وتثبت السجود على الأرض وما ينبت منها، تماماً كما يذهب إليه الشيعة ويفعلونه. ونلفت نظر القارىء الكريم هنا إلى طائفة من هذه الأحاديث، وهي غيض من فيض:

لقد روى جماعة من المحدّثين الإسلاميين عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»(١).

ولقد وردت هذه الرواية بألفاظ متنوعة في كثير من المؤلفات والمجاميع الحديثية الإسلامية.

وروى مسلم بن الحجاج في صحيحه، الحديث المذكور على النحو الآتي: «جُعلت لنا الأرض كلها طهوراً مسجداً»(٢).

ونقل البيهقي في سننه، الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هكذا: «جعلت لي الأرض طيبة وطهوراً ومسجداً»(٣).

وجاء الحديث المذكور في بحار الأنوار على الشكل التالي:

«جعلت لك ولأمتك الأرض كلها مسجداً وطهوراً»(٤).

ونقل صاحب كتاب «مصباح المسند» الحديث عن رسول الله

---

(١) صحيح البخاري ج ١، كتاب الصلاة ص ٩١، وسنن البيهقي ج ١ ص ٢١٢، (باب التيمم بالصعيد الطيب)، واقتضاء الصراط المستقيم (لابن تيمية)، ص ٣٣٢، وصحيح مسلم ج ١ ص ٣٧١، وسنن النسائي ج ١ باب التيمم بالصعيد، ص ٢١٠، وسنن الترمذي ج ٢ ص ١٣١، ١٣٣، وج ٤ ص ١٢٣.

(٢) صحيح مسلم، ج ١ ص ٣٧١، وسيرتنا وسنتنا نقلاً عن النسائي، والترمذي وأبي داود.

(٣) سنن البيهقي، ج ٦ ص ٢٦١.

(٤) بحار الأنوار ج ٨٣، ص ٢٧٧.

ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هكذا:

«وجعلت الأرض كلها لي ولأمتي مسجداً وطهوراً»[1] في ضوء هذه الأحاديث المتواترة والمقبولة لدى جميع علماء الإسلام ومحدّثيه يتّضح ويثبت بجلاء أن وجه الأرض، تراباً كان أو صخراً، أو حصى أو نباتاً هو الأصل في السجود، أي هو الذي يجب أن يتخذ موضعاً للسجود، ولا يجوز التعدّي عن ذلك من دون عذر مشروع (يأتي تفصيله وبيانه مستقبلاً).

كما أن لفظة «جعل» هنا تعني ـ من دون إبهام ـ : التشريع والتقنين، فيكون معنى الحديث أن هذا الأمر (أي السجود على وجه الأرض) حكم إلهي شرّعه الله لأتباع الإسلام، وهكذا تثبت مشروعية السجود على الأرض وأجزائها.

---

(١) مصباح المسند، الشيخ قوام الدين.

(٤)

أمر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بالسجود على التراب

إنّ طائفة من الروايات تدلّ على هذه النقطة، وهي أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يأمر المسلمين بالسجود على التراب، وندرج نماذج من هذه الأحاديث:

١ ـ روت أم سلمة زوجة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال: «ترّب وجهك لله»[1].

٢ ـ نقل عبد الرزاق في كتاب «المصنّف» عن خالد الجهمي ما يلي: «رأى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صهيباً يسجد كأنه يتقي التراب فقال له النبي: ترّب وجهك يا

(١) كنز العمال ج ٧ ص ٤٦٥ طبعة حلب، كتاب الصلاة.

صهيب»[1].

٣ ـ نقرأ في «إرشاد الساري» ما يلي: «قال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لمعاذ: عفّر وجهك في التراب»[2].

٤ ـ روي في «كنزل العمال» و «الإصابة» و «أسد الغابة» ما يلي: «قال النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: يا رباح ترّب»[3].

ولقد جاء نظير هذه الأحاديث في كثير من المصادر والجوامع الحديثية الإسلامية السنية والشيعية.

ويتّضح من لفظة «ترّب» في كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أمران:

الأول: أن على الإنسان أن يضع جبهته ـ عند السجود ـ على التراب.

والآخر: أن هذا المطلب، للأمر به، مطلب واجب التنفيذ، لأن لفظة «ترّب» التي هي مشتقّة من التراب جاءت في صيغة الأمر الدالة على الوجوب.

وواضح أن فلسفة تفضيل السجود على خصوص التراب، هي أن هذا العمل أصدق مظهر للتواضع والخضوع أمام الله

---

(١) المصنف ج ١ ص ٣٩٢.
(٢) إرشاد الساري ج ١ ص ٤٠٥.
(٣) كنز العمال ج ٤ ص ٩٩ ـ ٢١٢ وفي طبعة أخرى ج ٧ ص ٣٢٤، والإصابة ج ١ ص ٥٠٢ الرقم ٢٥٦٢، وأسد الغابة، ج ٢ ص ١٦١.

خالق الكون وربّ العالمين، وهو كفيل بأن يحرّر الإنسان من الاستمرار في التكبّر والعجب.

ولهذا يقول رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : «إذا صلّى أحدكم فليلزم جبهته وأنفه الأرض حتى يخرج منه الرغم».

قال صاحب النهاية: أي يظهر ذلّه وخضوعه[1].

أمر النبي بإزاحة العمامة عن الجبهة يبيّن كيفية السجود.

إن من الأدلة على وجوب السجود على التراب أمر النبيّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بإزاحة العمامة عن الجبهة عند السجود.

ولقد أورد المحدثون الإسلاميون روايات كثيرة تحكي عن أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ نهى الأشخاص الذين فصلوا بين جباههم ووجه الأرض بشيء من عمائمهم.

ونذكر فيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث.

١ ـ قال صالح السبائي:

«إنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رأى رجلاً يسجد بجنبه وقد اعتمّ على جبهته، فحسر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن جبهته»[2].

---

(١) النهاية لابن الأثير ج ٢، مادة رغم.

(٢) سنن البيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

٢ ـ يقول عياض بن عبد الله:

«رأى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ رجلاً يسجد على كور عمامته فأومأ بيده إرفع عمامتك وأومأ إلى جبهته»[١].

٣ ـ روي في كنز العمال وسنن البيهقي عن أمير المؤمنين أنه قال:

«إذا كان أحدكم يصلّي فليحسر العمامة عن وجهه»[٢].

٤ ـ وجاء في «بحار الأنوار» نقلاً عن «دعائم الإسلام»:

«عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه نهى أن يسجد المصلّي على ثوبه أو على كمّه أو على كور عمامته»[٣].

يتضح من هذه الروايات بجلاء أيضاً أنّ وجوب السجود على الأرض كان أمراً مسلّماً في زمن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى درجة أن بعض المسلمين كان إذا أراد أن يسجد على كور عمامته بدل وضع الجبهة على الأرض نهاه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن ذلك، على حين إذا كان السجود على كل شيء حتى الملبوسات كالعمامة لما كان يمنع منها رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

---

(١) سنن البيهقي ج ٢ ص ١٠٥.

(٢) كنز العمال، ج ٤، ص ٢١٢ وفي طبعة أخرى، ج ٨، ص ٨٦، وسنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٥.

(٣) بحار الأنوار، ج ٨٥ ص ١٥٦.

سيرة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ تبيّن كيفية السجود:

إنّ المسلمين متفقون جميعاً على أن رسول الله أُسوة للمسلمين في كل عصر ومصر، وأن سيرته العملية مشعل وضّاء ينير طريق المسلمين في جميع أبعاد الحياة.

يقول القرآن الكريم في هذا المجال: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً**﴾[1].

من هنا لا بد حتى في مسألة السجود من التأسّي بسيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والاقتداء بسيرته واتّباع سنّته.

والآن لا بد من دراسة السيرة العملية لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في هذا المجال في ضوء الروايات الإسلامية، وبخاصة الأحاديث الواردة في مؤلفات أهل السنّة.

يستفاد من ثنايا الأحاديث الكثيرة الواردة في هذا المجال أنّ النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يسجد على تگرض والأشياء المصنوعة مما ينبت من الأرض كالحصير. وهذا الطريق هو الذي يسلكه الشيعة اتّباعاً لرسول الله واستناناً بسنّته.

وعلى هذا ينبغي أن ندرج الروايات والأحاديث المذكورة في الصنفين الآتيين:

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٢١.

١ ـ الأحاديث التي وردت حول سجود النبي على الأرض (تراباً كان أو صخراً أو غيره).

٢ ـ الأحاديث التي تحكي عن سجود النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على أجزاء بعض النباتات كالحصر.

الصنف الأول:

ونذكر من أحاديث هذا الصنف نماذج للاطلاع.

١ ـ يقول الوائل بن حجر:

«رأيت النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا سجد وضع جبهته وأنفه على الأرض»[١].

٢ ـ يقول ابن عباس:

«إن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سجد على الحجر»[٢].

٣ ـ روي عن عائشة:

«ما رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ متّقياً وجهه بشيء»[٣].

تعني في السجود.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص الحنفي ج ٣، ص ٢٠٩ طبعة بيروت.

(٢) سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٢.

(٣) المصنف، ج ١، ص ٣٩٧ وكنز العمال، ج ٤، ص ٢١٢ وفي طبعة أخرى، ج ٨، ص ٨٥.

إن الكلام المذكور يكشف عن أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان ـ بشهادة زوجته ـ يسجد دائماً على الأرض، ويتجنّب الفصل بين جبهته الشريفة والأرض بأي مانع وعائق.

٤ ـ روى أحمد بن شعيب النسائي في سننه عن أبي سعيد الخدري وهو من صحابة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قوله:

«بصرت عيناي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على جبينه وأنفه أثر الماء والطين»[١].

من هذا الحديث ونظائره يتضح بجلاء أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يرجّح السجود على وجه الأرض حتى في حال نزول المطر، بحيث شوهد أثر الماء والطين على جبهته الشريفة.

والحديث الآتي يدل على هذه النقطة أيضاً:

٥ ـ عن أبي هريرة:

«سجد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في يوم مطير حتى أني لأنظر إلى أثر ذلك في جبهته وأرنبته»[٢].

---

(١) سنن النسائي، ج ٢، ص ٢٠٨، السجود على الجبين.
وورد ما يقرب هذا المضمون في كثير من كتب الحديث مثل صحيح البخاري، وسنن البيهقي، وسنن أبي داود وغيرها.

(٢) مجمع الزوائد، ج ٢، ص ١٢٦.

ومن جانب آخر هناك روايات وأحاديث تنص على أنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يتقي بعباءته الأرض فيفصل بينها وبين يديه ورجليه في الحالات الاضطرارية كالبرد الشديد أو نزول المطر.

ويستفاد من ظاهر هذه الأحاديث أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان حتى في الحالات الاضطرارية كالمطر والبرد الشديد، لا يضع قطعة من القماش بين جبهته والأرض كعازل يمنع من الرطوبة والبرودة الشديدة، لأنه ليس في الأحاديث المذكورة إشارة إلى وضع اللباس بين جبهته ووجه الأرض.. وإليك نماذج من هذه الأحاديث:

٦ ـ يقول ابن عباس:

«رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يصلي في كساء أبيض في غداة باردة يتّقي بالكساء برد الأرض بيده ورجله»[(١)].

٧ ـ ويقول في موضع آخر:

«لقد رأيت رسول الله في يوم مطير وهو يتّقي الطين إذا سجد بكساء عليه يجعله دون يديه إلى الأرض إذا سجد»[(٢)].

٨ ـ ويروي ابن ماجه في سننه عن عبد الله بن عبد الرحمان هكذا:

---

(١) سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٦.
(٢) سيرتنا وسنتنا ص ١٣٢ نقلاً عن أحمد بن حنبل.

«جاءنا النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فصلّى بنا في مسجد بني عبد الأشهل، فرأيته واضعاً يديه على ثوبه إذا سجد»[1].

٩ ـ وهكذا يروي عن ثابت بن صامت بعدة وسائط:

«إنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلفّف به، يضع يديه عليه يقيه برد الحصى»[2].

الصنف الثاني:

وهي الأحاديث والنصوص الإسلامية التي تكشف عن أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يسجد على بعض أجزاء النبات مثل الحصير.

وقد أورد المحدثون الإسلاميون من الشيعة والسنّة هذا النوع من الأحاديث في كتبهم أو مؤلفاتهم الحديثية المعتبرة. ونلفت نظر القارىء الكريم إلى نماذج من هذه الأحاديث وخاصة ما ورد منها في جوامع أهل السنّة الحديثية.

١ ـ قال أبو سعيد:

«دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو يصلّي على حصير»[3].

---

(١) سنن ابن ماجة، ج ١ ص ٣٢٨، باب السجود على الثياب في الحر والبرد.

(٢) سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٣٢٨.

(٣) سنن البيهقي، ج ٢، ص ٤٢١، كتاب الصلاة، باب الصلاة على الحصير.

٢ ـ وروي عن أنس بن مالك وابن عباس وبعض أزواج النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كعائشة وأم سلمة وميمونة:

«كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يصلّي على الخمرة»[1].

والخمرة نوع من الحصير المنسوج من ليف النخل.

كما أن لفظة «كان» في هذا الحديث يدل على الدوام والاستمرارية.

٣ ـ وقد روي عن أبي سعيد الخدري ما يلي:
«. . . فرأيته يصلّي على حصير يسجد عليه»[2].

٤ ـ وروي عن عائشة ـ زوجة النبي ـ في «فتح الباريء» أنها قالت:

«إنّ النبي كان له حصير يبسطه ويصلي عليه»[3].

٥ ـ وروي عن علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ في بحار الأنوار أنه قال:

«إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ صلّى على حصير»[4].

---

(١) سنن ابن ماجه، ج ١، باب الصلاة على الخمرة ص ٣٢٨، وسنن البيهقي، ج ٢، ص ٤٢١، ومسند أحمد، ج ١.
(٢) سيرتنا وسنتنا، ص ١٣٠ نقلاً عن صحيح مسلم.
(٣) فتح الباري، ج ١، ص ٤١٣.
(٤) بحار الأنوار، ج ٨٥، ص ١٥٧.

٦ ـ يقول أنس:

«كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يصلّي على الخمرة ويسجد عليها»[١].

٧ ـ وجاء في صحيح مسلم وكتب أخرى عن «أنس» أنه قال:

«كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أحسن الناس خلقاً فربما تحضر الصلاة وهو في بيتنا بالبساط الذي تحته فيكنس ثم ينضح ثم يؤم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ونقوم خلفه فيصلي بنا وكان بساطهم من جريد النخل»[٢].

٨ ـ وروى مسلم بن الحجاج وأحمد بن حنبل وأبو عبد الله البخاري وغيرهم ما يلي:

«قال أنس بن مالك: فقمت إلى حصير لنا قد اسودّ من طول ما لبس فنضحته بماء فقام عليه رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . . . فصلّى لنا»[٣].

٩ ـ وروى مسلم بن الحجاج في صحيحه:

«عن أبي سعيد الخدري: إنّه دخل على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فوجده يصلي على حصير يسجد

---

(١) المعجم الأوسط والصغير للطبراني.

(٢) صحيح مسلم، ج ١، ص ٤٥٧، وسنن البيهقي، ج ٢ ص ٤٣٦. ومسند أحمد، ج ٣، ص ٢١٢ وغيره.

(٣) صحيح مسلم، ج ١، ص ٤٥٧، وصحيح البخاري، ج ١، ص ١٠٧ ـ ٢١٨ ومسند أحمد ج ٣، ص ١٣٠ وغيره.

عليه»[1] .

١٠ ـ ويقول أنس بن مالك:

«كان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يزور أم سليم أحياناً فتدركه الصلاة فيصلي على بساط لنا وهو حصير ينضحه بالماء»[2] .

في ضوء الأحاديث المذكورة التي تبيّن وتعكس سيرة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في مجال السجود يتبيّن بوضوح انه (ص) كان ملتزماً بأن يسجد على الأرض والتراب وبعض ما ينبت من الأرض مثل الحصير المصنوع من خوص جريد النخل، ولا نرى في هذه الروايات أي أثر من سجوده ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ على المأكولات والملبوسات أبداً.

وهذه الحقيقة هي التي يعتقدها الشيعة وهذا العمل هو الذي يقومون به في سجودهم لأن الشيعة يعتقدون أن السنّة والسيرة المحمدية المباركة هي ـ بعد الوحي الإلهي، والقرآن الكريم ـ الهادي والمرجع للمسلمين، وعلى المسلمين جميعاً أن يعملوا وفقه، ويتبعوه ولا يجاوزوه ولا يتقدموه: عملاً بقول الله تعالى: ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا لا تقدّموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إنّ الله سميع عليم** ﴾[3] .

---

(١) صحيح مسلم، ج ١ ص ٤٥٨.

(٢) الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٣١٢ وسنن أبي داود، ج ١، ص ١٧٧.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١.

(٥)

أقوال صحابة رسول الله وأفعالهم

أقوال الصحابة:

لقد كان صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يأمرون الناس ـ تبعاً لسيرة رسول الله وسنته ـ بالسجود على الأرض، وينهونهم عن السجود على شيء آخر مثل الملبوسات، وندرج هنا نموذجين عن هذه الأحاديث التي تتضمن أقوال صحابة النبي في هذا المجال:

١ ـ روي في السنن الكبرى للبيهقي عن أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ أنه قال:

«إذا كان أحدكم يصلّي فليحسر العمامة عن جبهته»[١].

٢ ـ وروى الحاكم النيشابوري في «المستدرك» وكذا

---

(١) السنن الكبرى، ج ٢ ص ١٠٥.

البيهقي في «السنن الكبرى» عن ابن عباس:

«من لم يلزق أنفه مع جبهته الأرض إذا سجد لم تجز صلاته»[1].

سيرة الصحابة:

كذلك نقل المؤلفون والمحدّثون الإسلاميون في جوامعهم الحديثية أحاديث وروايات عديدة تحكي برمّتها عن سيرة الصحابة والتابعين العملية في قضيّة السجود هذه، وتكشف جميعها عن أن صحابة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتابعيه كانوا يلتزمون السجود على مجرد الأرض (تراباً كان أو حجراً أو غيره) وبعض أجزاء النبات كالحصر في حال الاختيار وفي الظروف العادية وكانوا يتجنّبون السجود على الثوب أو القماش وغيرها من الملبوسات.

ونشير فيما يأتي إلى طائفة من هذه الأحاديث:

١ ـ يقول نافع:

«إنّ ابن عمر كان إذا سجد وعليه العمامة يرفعها حتى يضع جبهته بالأرض»[2].

٢ ـ ويكتب ابن سعد في كتابه «الطبقات الكبرى» قائلاً:

«كان مسروق إذا خرج يخرج بلبنة يسجد عليها

---

(١) مستدرك الحاكم، ج ١، ص ٢٧٠ وسنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٥، طبعة حيدر آباد الدكن)، كتاب الصلاة، باب الكشف عن الجبهة في السجود.

في السفينة»[1] .

وينبغي التنويه إلى أنّ «مسروق بن الأجدع» كان أحد التابعين، ومن أصحاب عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل، وقد عدّه صاحب «الطبقات الكبرى» من الطبقة الأولى من أهل الكوفة الذين رووا ـ بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ـ عليه السلام ـ وعبد الله بن مسعود.

إنّ سلوك هذه الشخصية الكبرى من شخصيات الصدر الأول يبطل قول أولئك الذين يعتبرون استصحاب قطعة من الطين أو شيء من التراب للسجود عليه، شركاً وبدعة، ويثبت أنّ السابقين من المسلمين كانوا يفعلون هذا في صدر الإسلام أيضاً، على حين لو كان السجود على كل شيء جائزاً فما الذي كان يوجب أن يحمل هذا التابعي المعروف «مسروق بن الأجدع» لبنة معه.

٣ ـ يقول رزين:

«كتب إليّ علي بن عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنه ـ: أن ابعث إليّ بلوح من أحجار المروة أسجد عليه»[2] .

يتضح من كلام علي بن عبد الله بن العباس الذي هو الآخر من التابعين ـ نقطتان:

---

(١) الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٧٩، في أحوال مسروق بن الأجدع. طباعة بيروت.

(٢) أخبار مكة ج ٣، ص ١٥١، نقلاً عن روين.

ألف: إنّ التزام السجود على الحجر الذي من أجزاء الأرض، واستصحابه ينسجم مع روح التوحيد، ولا يكون بمعنى الشرك وعبادة ذلك الحجر أبداً.

باء: إن بعض الشخصيات الإسلامية في الصدر الأوّل كانوا يرجّحون أن يسجدوا على قطعة من أرض مقدسة (كالمروة) وبهذا كانوا يتبركون بها.

وعلى هذا الأساس فإن الذين يتهمون الشيعة بالشرك، وعبادة غير الله بحجة أنّهم يرجّحون السجود على التراب أو أجزاء أخرى من الأرض، أو يستصحبون معهم قطعاً من طين أو تراب أرض مقدسة. يخطئون في هذا الاتهام، وأنّهم في هذا الادعاء يثبتون أنهم لا يعرفون شيئاً عن أبسط أصول الإسلام، وسيرة مسلمي الصدر الأول.

٤ ـ يقول أبو أمية:

«إن أبا بكر كان يسجد أو يصلّي على الأرض...»[١].

٥ ـ ويقول أبو عبيدة:

«إنّ ابن مسعود لا يسجد ـ أو قال: لا يصلّي ـ إلّا على الأرض»[٢].

٦ ـ وروي عن عبد الله بن عمر أنّه ما كان يستحب السجود على كور عمامته إلّا أن يزيحه عن جبهته:

---

(١) المصنف، ج ١، ص ٣٩٧.

(٢)المصنف، ج ١، ص ٣٦٧، ومجمع الزوائد ج ٢، ص ٥٧ نقلاً عن الطبراني.

«عن عبد الله بن عمر أنّه كان يكره أن يسجد على كور عمامته حتى يكشفها»[1].

٧ ـ وروى البيهقي حول عبادة بن الثابت:
«إنّه كان إذا قام إلى الصلاة حسر العمامة عن جبهته»[2].

في ضوء هذه الأحاديث والروايات الإسلامية يتجلّى بوضوح أنّ المسلمين وفي مقدمتهم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانوا ـ في صدر الإسلام ومنذ تشريع السجود ـ يسجدون على الأرض، وينهون كل من يعمد إلى الفصل بين جبهته والأرض بقماش أو عازل آخر.

بناء على هذا يتضح بيقين أن السنّة والسيرة النبوية، وكذا السيرة العملية للصحابة والتابعين كانت هي السجود على أجزاء الأرض (مثل التراب والحجر) وبعض أجزاء النبات مثل الحصير.

وفي هذا الصعيد روايات عديدة أخرى أيضاً تدل على أن الصحابة كانوا يحرصون على السجود على الأرض أو أخذ الحصى في أيديهم حتى تبرد ليسجدوا عليها حتى في شدة الحر في أرض الحجاز حيث الأرض ملتهبة، والحصى تتّقد حرارة، وربما برّدوا موضع سجودهم بنحو آخر غير ما ذكر بغية السجود على الأرض.

---

(١) سنن البيهقي ج ٢، ص ١٠٥، والمصنف، ج ١ ص ٤٠١.
(٢) سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٥.

ونستعرض هنا طائفة أخرى من هذه الأحاديث في سياق عرض الأحاديث التي تبيّن سيرة المسلمين العملية في الصدر الأول من تاريخ الإسلام:

٨ ـ يقول جابر بن عبد الله:

«كنت أصلّي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الظهر فآخذ قبضة من حصى في كفّي لتبرد حتى أسجد عليها من شدة الحر»(١).

ولقد ورد الحديث المذكور بألفاظ مختلفة في كثير من كتب الأحاديث مثل مسند أحمد، وسنن البيهقي، وكنز العمال، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، وعن أشخاص مثل جابر، وأنس وغيرهم.

وقد كتب البيهقي في سننه عن شيخه بعد نقل هذا الحديث عن أنس يقول:

«قال الشيخ: ولو جاز السجود على ثوب متصل به، لكان ذلك أسهل من تبريد الحصى في الكف ووضعها للسجود».

من هنا يظهر أنّ مسلمي صدر الإسلام وصحابة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كانوا لا يجوّزون السجود على الملبوس وإلاّ لم يكن مبرّر لتبريد الحصى للسجود بل كان الأصح والأفضل هو أن يضعوا قطعة من القماش أو جانب من لباسهم بين جبهتهم والأرض ويسجدوا على القماش أو

(١) مسند أحمد، ج ١، ص ٣٨٨/ ٤٣٧ ٤٦٢. وجاء نظيره في سنن البيهقي، ج ١ ص ٤٣٩.

(٢) سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٥ و ١٠٦.

السجاد والبساط.

٩ ـ عن «أنس».

«كنا نصلّي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في شدة الحر فيأخذ أحدنا الحصباء في يده فإذا برد وضعه وسجد عليه»[١].

ومن جانب آخر هناك كمية كبيرة من الروايات من المحدثين الإسلاميين تنص على أن بعض صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ضاق ذرعاً من شدة حرارة الأرض وشكى ذلك إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ليأذن له بالسجود على غير الارض ولكن النبي (ص) لم يسمح له إلاّ بالسجود على الأرض.

إن كل إنسان منصف يعلم أن السجود على اللباس والقماش والسجاجيد (التي لا يجوز السجود عليها) لو كان جائزاً لأذن به رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ للمسلمين حتماً ويقيناً، ولما جشم أصحابه عناء الاكتواء بحرّ الحصى، وسخونة التراب، وهو الموصوف بأنه عزيز عليه ماعنت المسلمين والرؤوف بهم: ﴿**عزيز عليه ماعنتّم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾[٢].

ونشير هنا من بين كمية هائلة من الأحاديث إلى نماذج معدودة تؤيد بل وتدل بجلاء على صحة ما ذهب إليه المسلمون

---

(١) سنن البيهقي، ج ٢، ص ١٠٦.

(٢) سورة التوبة الآية ١٢٨.

الشيعة في هذه المسألة:

١١ ـ روى البيهقي عن خباب بن الأرت:

«شكونا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شدة الرمضاء في جباهنا وأكفّنا، فلم يشكنا»[١].

أي لم يستجب لشكايتنا، ولم يأذن بحلٍّ آخر.

١٢ ـ وروى مسلم بن الحجاج عن خباب بن الأرت أيضاً قائلاً:

«عن خباب قال: أتينا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فشكونا إليه حر الرمضاء فلم يشكنا»[٢].

---

(١) سنن البيهقي، ج ١ ص ٤٣٨، وج ٢، ص ١٠٥ ـ ١٠٧.

(٢) صحيح مسلم، ج ١ ص ٤٣٣.

(٦)
أحاديث أهل البيت ـ عليهم السلام ـ

إنّ الأئمة المعصومين الذين هم من جانب، القرين الملازم للقرآن بحكم حديث الثقلين، ومن جانب آخر أهل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ولحمته وأعرف الناس بسنّته وسيرته العملية صرّحوا في أحاديث لهم بأنّ السجود لا يجوز إلاّ على الأرض وما ينبت منها (إلاّ ما كان مأكولاً أو ملبوساً).

وهنا قبل أن نستعرض أحاديث أهل البيت في هذا المجال ينبغي أن نستعرض أدلة الشيعة الواضحة على لزوم اتّباع العترة الطاهرة.

الدليل على حجيّة أحاديث أهل البيت ولزوم التمسّك بهم:

يتّفق محدّثوا الشيعة والسنّة على أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ خلّف في الأمة وديعتين ثمينتين، ودعا

المسلمين كافة إلى اتّباعهما، وعلّق سعادتهم وهدايتهم على التمسك بهما، أحداهما كتاب الله والأخرى أهل بيته وعترته؛

وهنا نلفت نظر القارىء الكريم إلى بعض الأحاديث في هذا المجال.

١ ـ روى الترمذي في صحيحه عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال:

«يا أيها الناس إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»(١).

٢ ـ وروى الترمذي في كتابه أيضاً:

«قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»(٢).

٣ ـ روى مسلم بن الحجاج في صحيحه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال:

«ألا أيها الناس فإنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين؛ أوّلهما كتاب الله فيه الهدى

---

(١) صحيح الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي، ج ٥، طبعة بيروت، ص ٦٦٢، الحديث ٣٧٨٦.
(٢) المصدر السابق ص ٦٦٣، الحديث ٣٧٨٨.

والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحثّ على كتاب الله، ورغّب فيه،

ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي أُذكّركم الله في أهل بيتي»[1].

٤ ـ روى جماعة من المحدثين الإسلاميين عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال:

«إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[2].

والجدير بالتنبيه أن الأحاديث الإسلامية في هذا الصعيد أكثر من أن تسعها هذه الدراسة العاجلة، وقد جمع المحقّق المتتبّع السيد مير حامد حسين أسناد هذه الرواية (أي رواية الثقلين) في موسوعته القيمة «عبقات الأنوار»، وقد طبعت في ست مجلدات.

وعلى العموم يتضح في ضوء هذه الروايات بجلاء أن التمسك بأهل البيت النبوي واتّباعهم جنباً إلى جنب مع الكتاب العزيز والسنّة المحمدية الشريفة من ضروريات الإسلام، وأن ترك أحاديث العترة الطاهرة، وعدم الاعتناء بها يوجب الضلال.

والآن يطرح أمامنا سؤال هام وهو: من هم عترة رسول

---

(١) صحيح مسلم، الجزء ٧، باب فضائل علي بن أبي طالب. طـ مصر، ص ١٢٢ ـ ١٢٣.

(٢) مستدرك الحاكم، الجزء ٣، ص ١٤٨.

الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأهل بيته الذين أوجب النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ علينا طاعتهم واتّباعهم؟.

ولهذا وبهدف إيضاح هذه الحقيقة، نعمد إلى استعراض الأحاديث الإسلامية التي تحدد لنا معنى «العترة» وتبيّن لنا المراد من أهل البيت.

من هم أهل البيت النبوي؟

يتجلّى من الروايات المذكورة سلفاً أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ دعا كافة المسلمين إلى اتّباع عترته وأهل بيته الكرام وجعلهم قرناء لكتاب الله، فهم المرجع إلى جانب القرآن، وقال بصراحة تامة: «إنّهما لن يفترقا أبداً».

وعلى هذا الأساس فإن أهل البيت النبوي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ هم الذين يتمتعون بحكم ان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قرنهم مع القرآن بالعصمة، كما إنهم يتمتعون بالعلوم والمعارف الإسلامية الصحيحة، لأنه في غير هذه الصورة يفترقون عن الكتاب العزيز في حين أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «إنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» وهذا يكشف عن تلاقيهما، واتفاقهما، وتلاحمهما في الاتجاه، والفكر، وتعاضدهما في ما يحملانه من الحقائق والموضوعات.

بهذا تثبت ضرورة معرفة أهل البيت بأشخاصهم وصفاتهم التي لا تنطبق إلاّ على أئمة الشيعة ـ الذين هم عترة الرسول

وآله ـ بصورة دقيقة.

وإليك الدلائل الواضحة في هذا المجال في ضوء ما رواه المحدّثون الإسلاميون الكبار:

١ ـ روى مسلم بن الحجاج في صحيحه بعد ذكر حديث الثقلين:

«سأل يزيد بن حيان، زيد بن الأرقم (الصحابي المعروف): من أهل بيته، نساؤه؟.

قال: لا وأيم الله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلّقها فترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده»[١].

إن الرواية المذكورة تشهد بوضوح بالحقيقة التالية وهي: أن المقصود من عترة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذين يجب اتّباعهم مثل القرآن الكريم ليسوا أزواج النبي، بل أهل بيت النبي وعترته هم مضافاً إلى من له ارتباط جسماني به، من يرتبطون به ارتباطاً معنوياً خاصاً، ويتمتعون بصلاحية وصفات خاصة تؤهّلهم لأن يكونوا قرناء القرآن والمراجع الصالحين لكافة المسلمين إلى جانب الكتاب الإلهي العزيز.

٢ ـ إنَّ النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم يكتف ببيان أوصاف أهل البيت، بل صرّح بعددهم وهو إثنا عشر.

---

(١) صحيح مسلم، ج ٦، ص ٣، طـ مصر.

فقد روى مسلم في صحيحه عن جابر بن سمرة:

«سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: لا يزال الدين عزيزاً إلى إثني عشر خليفة، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت لأبي: ما قال؟ فقال: كلهم من قريش»[(١)] .

وهكذا روى مسلم بن الحجاج في موضع آخر من صحيحه أيضاً عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال:

«لا يزال أمر الناس ماضياً ما وليهم إثنا عشر رجلاً»[(٢)] .

إنّ هاتين الروايتين خير دليل على صحّة ما يقوله الشيعة من أن الأئمة الإثني عشر الذين يعتقد الشيعة بإمامتهم هم قادة الناس وأئمتهم الحقيقيين بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، لأن الخلفاء الإثني عشر بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذين يعتبرون ـ في الإسلام ـ المراجع الصالحين للأمة الإسلامية وسبب عزّتهم وكرامتهم لا مصداق له سوى الأئمة الإثنا عشر من أهل البيت، لأنه لو أغمضنا النظر عن الخلفاء الثلاثة الذين وصفوا ـ ظاهراً ـ بالخلفاء الراشدين في مصطلح المسلمين فإن سائر الخلفاء الأمويين والعباسيين، سوّدوا بجرائمهم وفضائحهم وجه التاريخ الإسلامي، ولم يجرّوا إلى الأمة سوى العار والشنار.

---

(١) صحيح مسلم، ج ٦، ص ٣، ط مصر.
(٢) المصدر السابق.

وبهذا الطريق اتضح أن المقصود من أهل البيت النبوي، وعترة الرسول الأكرم الذين جعلوا قرناء للكتاب، وأنيطت المرجعية في الأمة الإسلامية إلى جانب القرآن إليهم، هم الأئمة الإثنا عشر من عترة الرسول حفظة السنّة المحمدية، وحملة علوم النبي الكريم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

٣ ـ ولقد اعتبر الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ أيضاً أئمة المسلمين من بني هاشم، وهو دليل آخر في غاية الوضوح والجلاء على صحة ما يذهب إليه الشيعة في شأن أهل البيت. وذلك بقوله:

«إن الأئمة من قريش من هذا البطن من بني هاشم لا تصلح على من سواهم ولا تصلح الولاة من غيرهم»[١].

النتيجة:

من مجموعة الروايات والأحاديث المذكورة تتجلى حقيقتان هما:

١ ـ إن التمسك بأهل بيت النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ واتّباعهم واجب إلى جانب طاعة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

٢ ـ أن أهل بيت النبي الذين جعلوا قرناء الكتاب العزيز، واعتبروا المراجع الشرعيين بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله

---

(١) نهج البلاغة (صبحي الصالح)، الخطبة ١٤٤.

وسلم ـ وجنباً إلى جنب مع القرآن الكريم يتّصفون بأوصاف خاصة وخصوصيات معيّنة:

أ ـ أنهم جميعاً من قريش من طائفة بني هاشم.

ب ـ أن قرابتهم بحيث يشاركون بها رسول الله في حرمة الصدقة عليهم[1].

ج ـ أنهم جميعاً يتمتعون بصفة العصمة وإلّا لانفصلوا وافترقوا عن القرآن الكريم في حين أن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قال: «إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

د ـ أن عددهم إثنا عشر يتسلّمون زمام الإمامة بعد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الواحد بعد الآخر.

هـ ـ أن هؤلاء الخلفاء الإثني عشر لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ سبب لعزة المسلمين، وشوكة الإسلام.

ومع ملاحظة هذه الأوصاف والخصوصيات المستفادة من الروايات المذكورة هنا ونظائرها الكثيرة جداً يتّضح ـ كالشمس في رائعة النهار ـ أن مراد النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من أهل بيته الذين أمر ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المسلمين كافّة باتباعهم هم الأئمة الإثنا عشر من عترة الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذين يفتخر الشيعة بمودّتهم، واتّباعهم، والتمسّك

---

(١) ولابأس بأن ننقل هنا ما كتبه الإمام الفخر الرازي في حق أهل البيت: أهل بيته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ساووة في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم وفي التشهّد، وفي السلام، وفي الطهارة، وفي تحريم الصدقة عليهم، وفي المحبة» تفسير الرازي ج ٧ ص ٣٩١.

بهم، في معرفة الأحكام الفقهية، وهم عبارة عن:

١ ـ علي بن أبي طالب.

٢ ـ الحسن بن علي المجتبى.

٣ ـ الحسين بن علي الشهيد.

٤ ـ علي بن الحسين (زين العابدين).

٥ ـ محمد بن علي (الباقر).

٦ ـ جعفر بن محمد (الصادق).

٧ ـ موسى بن جعفر (الكاظم).

٨ ـ علي بن موسى (الرضا).

٩ ـ محمد بن علي (التقي).

١٠ ـ علي بن محمد (النقي).

١١ ـ الحسن بن علي (العسكري).

١٢ ـ الإمام المهدي (القائم) الذي تواترت الروايات عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في كتب المحدّثين الإسلامية حوله، ووصفته بالمهدي...

(٧)
أحاديث أهل البيت ـ عليهم السلام ـ حول كيفية السجود

والآن وبعد أن ثبتت حجيّة أحاديث أهل البيت وثبت وجوب التمسّك بها، نلفت نظر القارىء الكريم إلى طائفة من أحاديثهم حول كيفية السجود وبالأخرى ما يجوز السجود عليه وما لا يجوز.

١ ـ قال الإمام جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ:

«السجود لا يجوز إلّا على الأرض أو على ما أنبتت الأرض إلّا ما أُكل أو لبس»(١).

٢ ـ ويقول في موضع آخر:

«السجود على الأرض فريضة وعلى الخمرة

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٥٩١ كتاب الصلاة، أبواب ما يسجد عليه، الحديث ١.

سنّة»[1].

٣ ـ وقال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ في هذا المجال كذلك:

«لا يُسجد إلاّ على الأرض أو ما أنبتت الأرض إلاّ المأكول والقطن والكتّان»[2].

٤ ـ وعنه ـ عليه السلام ـ أيضاً عندما سأله إسحاق بن الفضيل عن السجود على الحصر والبواري.

فقال: «لابأس؛ وإن يسجد على الأرض أحب إليّ، فإنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يحب ذلك، أن يمكّن جبهته من الأرض، فأنا أُحبّ لك ما كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يحبّه»[3].

٥ ـ وروي في موضع آخر:

«... إنّ رجلاً أتى أبا جعفر (الإمام الباقر) وسأله عن السجود على البوريا والخصفة والنبات؟ قال: نعم»[4].

٦ ـ وقال الحلبي: «عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال: سألته عن الرجل يصلّي على البساط والشعر والطنافس؟.

قال: لا تسجد عليه، وإن قمت عليه وسجدت على

(١) وسائل الشيعة، ج ٣ ص ٥٩٣ كتاب الصلاة، أبواب ما يسجد عليه، الحديث ٧.
(٢) وسائل الشيعة ج ٣، ص ٥٩٢ وبحار الأنوار، ج ٨٥، ص ١٤٩.
(٣) وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٦٠٩.
(٤) وسائل الشيعة، ج ٣ ص ٥٩٣.

الأرض فلابأس، وإن بسطت عليه الحصير وسجدت على الحصير فلابأس»[1].

في ضوء الأحاديث المذكورة يتبيّن جيداً أنّه لا يجوز ـ في نظر عترة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ السجود إلاّ على الأرض وما ينبت منها ماعدا الملبوسات والمأكولات.

وهذا هو الحكم الذي يستفاد من مجموعة أحاديث سنّة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيرته، وأفعال أصحابه وأقوالهم.

ومن جانب آخر نعلم أنّ ما قاله الأئمة المعصومون وأهل بيت النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ من الأحكام الشرعية قد أخذوه من جدهم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وهذه الرؤية نابعة من أن حقّ التشريع والتقنين للمجتمع البشري خاص بالله سبحانه وحده، وقد أوصل القوانين والأحكام الشرعية إلى البشر عن طريق نبيّه محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ . . . ومن الواضح البيّن أن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مجرد واسطة بين الله والخلق لإبلاغ الوحي وإيصال التشريعات الإلهية.

من هذا البيان يتضح أنّ الشيعة إذا اعتبروا أحاديث أهل البيت أيضاً من مصادر الفقه والتشريع عندهم فإنّما هو لأجل أنّ أحاديث العترة مبيّنة لسنّة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٣ ص ٥٩٤.

وسلم ـ .

قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ في هذا المجال:

«حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وحديث رسول الله قول الله عزّ وجلّ»[1].

وفي مكان آخر قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ في جواب من سأله عن مصدر ما يقول:

«مهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لسنا نقول برأينا من شيء»[2].

في ضوء هذه الأحاديث تتضح نقطتان:

أ ـ إنّ السجود في نظر أهل البيت النبوي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لا يجوز إلاّ على الأرض وما ينبت منها ما عدا المأكولات والملبوسات، أما السجود على التراب الذي هو أحد أجزاء الأرض فيتمتع بفضيلة أكثر، لأن حكمة السجود هي إظهار التواضع وإبراز الخضوع أمام الله تعالى، والسجود على التراب يوجب تذلّلاً وخضوعاً أكثر أمام الله تعالى خالق الكون وربّ العالمين جميعاً.

---

(١) جامع أحاديث الشيعة ج ١ ص ١٢٧.

(٢) جامع أحاديث الشيعة، ج ١ ص ١٢٩.

ب ـ إنّ كلام أهل البيت النبوي ونظرهم حجة معتبرة ـ حسب الأحاديث والروايات الإسلامية المتواترة ـ والتخلّف عنه في حكم التخلّف عن أمر رسول الله، لأن النبي الأكرم ضمن عصمتهم، وصحّة كلامهم بحكم حديث الثقلين، وبناء على الروايات المروية عن العترة فإن حديثهم جزء من سنّة رسول الله ـ صلى الله عليه وعليهم أجمعين ـ .

ومن خلال هذه المقدمات الواضحة المبرهنة تثبت صحة نظرية الشيعة ورأيهم في مسألة السجود. .

(٨)

السجود الاضطراري

في ضوء الأبحاث المتقدمة اتضح بالدلائل الآتية أن السجود يجب أن يتم على الأرض وما ينبت منها (ما عدا المأكولات والملبوسات):

١ ـ سنّة النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المتمثّلة في أوامره بالسجود على التراب ووجه الأرض.

٢ ـ سيرة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ العملية.

٣ ـ أقوال صحابة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

٤ ـ سيرة صحابة النبي وتابعيه ومسلمي صدر الإسلام العمليّة.

٥ ـ أقوال أهل البيت وعترة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ.

وهناك أحاديث أخرى كذلك تبيّن كيفية السجود في الحالات الاضطرارية مثل الحر الشديد المضني، أو البرد الشديد

القارص... ويستفاد من مجموعة هذه الطائفة من الأحاديث أنه يجوز في حالات الاضطرار والعذر الشرعي السجود على جانب من الثوب أو قطعة من القماش.

إن هذه الروايات كما ذكر إنما هي بصدد بيان كيفية السجود في الحالات الاضطرارية ولكن بعض المسلمين من أهل السنّة تصوّر أن الأحاديث المذكورة تدلّ على جواز السجود على السجاجيد والفرش وأمثالها في جميع الحالات، حتى الحالات العادية وعدم وجود العذر الشرعي. ولهذا تعدّوا حدود السنّة والسيرة النبوية، وأقوال وأفعال صحابة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وقالوا: لا يجب السجود على مجرد الأرض وما ينبت منها (ما عدا المأكولات والملبوسات) بل يمكن السجود على كل شيء جامد آخر مثل السجاد والبساط والقماش، وجانب من اللباس والمأكول و... في جميع الحالات والشرائط.

وعلى هذا من الأفضل أن نستعرض هنا الأحاديث المتضمّنة لذكر موارد الاضطرار، حتى يتّضح عدم صحة هذا التصوّر:

١ ـ روى أبو عبد الله البخاري في موارد عديدة من صحيحه الحديث التالي من أنس، بل خصّص باباً خاصاً من كتابه للسجود على اللباس في شدة الحر والرمضاء، وهذا العنوان نفسه شاهد على ما ندّعيه ونذهب إليه:

«كنا إذا صلّينا خلف رسول الله ـ صلى الله عليه وآله

وسلم ـ بالظهائر، فسجدنا على ثيابنا اتقاء الحر»[1].

٢ ـ وحكى البخاري في موضع آخر من كتابه عن أنس:

«كنا نصلّي مع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في شدة الحر فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه»[2].

٣ ـ وروى مسلم بن الحجاج أيضاً الحديث المذكور هكذا:

«كنا إذا صلّينا مع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فلم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض من شدة الحر طرح ثوبه ثم سجد عليه»[3].

٤ ـ وروى مسلم في موضع آخر عن أحد صحابة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال:

«كنا نصلّي مع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في شدة الحر فإذا لم يستطع أحدنا أن يمكّن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه»[4].

يتّضح من العبارات المذكورة بجلاء أن السجود على

---

(١) صحيح البخاري، ج ١، ص ١٤٣ ـ ١٧٠ وفي موضع آخر منه في ص ١٠١، وج ٢، ص ٨١.

(٢) صحيح البخاري، ج ١، ص ٣ ـ ١٠٧ وفي موضع آخر، ص ١٠١، وج ٢، ص ٨١.

(٣) سيرتنا وسنّتنا، ص ١٣١، نقلاً عن مسلم.

(٤) المصدر السابق.

الأشياء الأخرى غير الأرض وما ينبت منها إنما يجوز فقط في حالة الاضطرار لأن العبارات المذكورة تصرّح بوجود الأعذار الشرعية المقبولة مثل الحر الشديد، أو البرد القارص. ومن هنا يتبيّن أن بعض المسلمين في صدر الإسلام كانوا يتوقّون من حر الحجاز الشديد عند سطوع الشمس في ذلك المناخ الساخن بوضع قطعة من القماش بين الأرض وبين جباههم، ولهذا قال ابن حجر:

«وفيه إشارة إلى أن مباشرة الأرض عند السجود هو الأصل لأنه علّق بعدم الاستطاعة»[1].

وقال الشوكاني في نيل الأوطار بعد نقل الحديث المذكور:

«الحديث يدل على جواز السجود على الثياب لاتقاء حر الأرض، وفيه إشارة إلى أن مباشرة الأرض عند السجود هي الأصل لتعليق بسط ثوب بعدم الاستطاعة»[2].

إن الحكم بجواز السجود على جانب من الثوب في حالة الاضطرار (مثل الحر الشديد المضني) لا يختص بكتب أهل السنّة الحديثية، بل يشاهد أيضاً في أحاديث أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ أيضاً.

ولقد عقد صاحب كتاب «وسائل الشيعة» فصلاً تحت

---

(١) الفتح، ج ١ ص ٤١٤.

(٢) سيرتنا وسنّتنا، ص ١٣١، نقلاً عن نيل الأوطار ج ٢ ص ٢٨٩.

عنوان «جواز السجود على الملابس وعلى ظهر الكف في حال الضرورة» نقل فيه أحاديث أهل البيت النبوي في هذا المجال، ونحن نورد بعض هذه الأحاديث:

١ ـ يقول عيينة:

«قلت لأبي عبد الله ـ عليه السلام ـ: أدخل المسجد في اليوم الشديد الحر فأكره أن أصلّي على الحصى، فأبسط ثوبي فأسجد عليه؟.

قال: نعم ليس به بأس»[1].

٢ ـ ويقول قاسم بن فضيل:

«قلت للرضا ـ عليه السلام ـ: جعلت فداك، الرجل يسجد على كمّه من أذى الحر والبرد؟.

قال: لا بأس به»[2].

٣ ـ وروى جماعة من الإماميين هكذا:

«قلت لأبي جعفر ـ عليه السلام ـ إنّا نكون بأرض باردة يكون فيها الثلج أفنسجد عليه؟.

قال: لا، ولكن إجعل بينك وبينه شيئاً قطناً أو كتّاناً»[3].

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٣، كتاب الصلاة، أبواب ما يسجد عليه، باب ٤، الحديث ١.

(٢) المصدر السابق، الحديث ٢.

(٣) المصدر السابق، الحديث ٧.

النتيجة:

من مجموع الأحاديث المذكورة تتبيّن نقطتان بجلاء:

١ ـ يجب السجود على الأرض وما ينبت منها (عدا المأكولات والملبوسات) في حالة الاختيار والتمكّن من أجزاء الأرض، كالتراب، والحجر، والحصى، والنبات ما عدا المأكول والملبوس منه، وفي صورة عدم وجود عذر مقبول كالبرد أو الحر الشديدين.

٢ ـ في صورة وجود عذر مقبول وحالة اضطرارية (كالبرد أو الحر الشديدين أو فقدان أجزاء الأرض) فقط يجوز السجود على جانب من الثوب، أو قطعة من القماش، وهذه النقطة أمر موجود في روايات الشيعة والسنّة معاً.

من هنا يسجد المسلمون الشيعة، أتباع مدرسة أهل البيت النبوي الطاهر ـ وتبعاً لسنّة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيرته المقدسة وسيرة المسلمين العملية في صدر الإسلام وأحاديث عترة النبي المطهرين ـ على أجزاء الأرض مثل الحجر والحصى أو قطعة من الخشب وأمثال ذلك في حالة الاختيار، ويمتنعون من السجود على الأقمشة والألبسة والسجاجيد والمأكولات في هذه الحالة، ويرجّحون السجود على التراب لإبراز أكبر قدر من الخضوع والتواضع أمام الله تعالى.

ولهذا تبعاً لسيرة الصحابة والتابعين وأهل بيت النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يختارون قطعة من التراب الطاهر

للسجود عليها ليمكّنهم بذلك أن يظهروا أعلى درجة من درجات التواضع والخضوع، والخشوع أمام ربّ العالمين.

هذا ويجب التذكير بأن السلوك المذكور لا يختص بالشيعة، بل هناك جماعة من شخصيات السنّة المعروفين اختاروا هذا السلوك، ونحن نشير إلى نماذج من ذلك رعاية للاختصار، وهو غيض من فيض وقليل من كثير في هذا المجال:

١ ـ روى جماعة من المحدّثين والمؤرّخين الإسلاميين هكذا:

«عمر بن عبد العزيز كان لا يكتفي بالخمرة، بل يضع عليها التراب ويسجد عليه»[١].

٢ ـ ونقل عن عروة بن الزبير أنه كان يكره الصلاة على شيء دون الأرض[٢].

٣ ـ وكتب صاحب الطبقات الكبرى يقول ـ وكما أشرنا إليه ـ:

«كان مسروق إذا خرج يخرج بلبنة يسجد عليها في السفينة»[٣].

وكان مسروق بن الأجدع أحد التابعين.

---

(١) فتح الباري، ج ١، ص ٤١٠، وشرح الأحوذي، ج ١، ص ٢٧٢.
(٢) نفس المصدر.
(٣) الطبقات الكبرى، ج ٦، ص ٧٩، فيي أحوال مسروق بن الأجدع طبعة بيروت.

وعلى هذا الأساس فإنّ فعل المسلمين الشيعة ونعني به التزامهم بالسجود على أجزاء الأرض وما ينبت منها ـ إلّا المأكولات والملبوسات ـ وكذا تفضيل السجود على التراب، وعلى قطعة من التربة الطاهرة المقدسة بهدف إظهار أعلى درجة من درجات الخضوع والتواضع أمام الله تعالى، ليس فقط خارجاً عن دائرة الشرك، بل هو منسجم تمام الانسجام مع روح التوحيد في العقيدة والعبادة، والآراء التي تعارض هذا الموقف الصحيح هي نوع من البدعة والتشريع الكيفي الذي ثبت وهنه وضعفه في ضوء الدلائل المذكورة مثل سنّة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيرته المقدسة، وأفعال وأقوال صحابته وتابعيهم وكذا أحاديث أهل البيت النبوي ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ.

وما نذكره فيما يأتي شاهد صادق ودليل واضح على ما نقول وندّعيه:

«قد أخرج الحافظ الكبير الثقة أبو بكر بن أبي شيبة بإسناده في المصنّف في المجلد الثاني عن سعيد بن المسيب وعن محمد بن سيرين: أن الصلاة على الطنفسة محدث، وقد صحّ عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قوله: شرّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة»[1].

(١) سيرتنا وسنّتنا، ص ١٣٤.

السجود على تربة الإمام الحسين
- عليه السلام -

يذهب المسلمون الشيعة، اتّباعاً لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأهل بيته المطهّرين وسيرتهم العَمَلية إلى أنه يُستحبُّ أن يكون السجود لله في الصلاة على تراب كربلاء، وهي الأرض التي استشهد فيها سيدُ الشهداء الإمام الحسين عليه السلام.

حكمة استحباب السجود على التربة الحسينية:

والسؤال الذي يطرح هنا هو: لماذا اختار الشيعة تراب كربلاء من بين أراضي العالم ولماذا يفضّلون السجود عليها في الصلاة، ولماذا يستصحبون معهم قطعاً من التربة المذكورة في مساجدهم وبيوتهم وفي أسفارهم.

إليك أدلّة الشيعة لهذا العمل في ضوء سنّة وسيرة رسول الله وأهل بيته للإجابة على هذا السؤال:

١ ـ من الواضح أن الشيعة يجوّزون السجود على جميع أنواع التراب والحجر والحصى والأراضي الطاهرة، إنما يرجّحون ـ وفقاً للروايات والأحاديث الإسلامية الصحيحة ـ بعض الأراضي التي اكتسبت قداسة وبركة لانتسابها إلى الشعائر والمقدسات الإلهية، أو لانتسابها إلى أولياء الله الكرام.

ولا شك أن أرض مكة المكرمة بسبب احتوائها لبيت الله الحرام والكعبة المعظّمة، تعتبر الحَرَم الإلهي الآمن وتتمتع بقداسة خاصة، ولأجل هذه الطهارة والقداسة مُنِعَ المشركون والكفّار من دخول هذه الأرض المقدّسة، وهكذا تتمتع أرض المدينة المنورة في ضوء الأحاديث التي وردت حول هذه البلدة المقدسة، بأهمية وقداسة كبرى.

ومن الأراضي المقدسة وفقاً للأحاديث الإسلامية أرض كربلاء التي هي مصرع أولاد النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأبنائه الأطهار وعلى رأسهم الإمام الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ .

ونذكر هنا نماذج من الأحاديث المعتبرة التي وردت في هذا الصعيد في المؤلفات الحديثية الموثوق بها لدى الفريقين وبخاصّة كتب علماء أهل السنّة لتتضح قداسة هذه الأرض خاصة، وقداسة تربتها الطاهرة الزكية.

١ ـ روى ابن حجر الهيتمي في كتابه «الصواعق المحرقة»:

«. . . إذ دَخَلَ الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فجعل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يلثمه ويقبِّله، فقال له المَلَكُ: أتحبّه؟ قال: نعم، قال: إنَّ أمتك ستقتله وإن شئت أريك المكان الذي يُقتل به.

فأراه فجاء بسهلةٍ أو ترابٍ أحمر، فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها.

قال ثابت: كنا نقول إنها كربلاء.

وأخرجه أيضاً أبو حاتم في صحيحه، وروى أحمد نحوه، وروى عبد بن حميد وابن أحمد نحوه أيضاً. . وزاد الثاني أيضاً أنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ شمَّها، وقال: ويح كرب وبلاء»[1].

٢ ـ وهكذا روى عن ابن سعد وهو أيضاً عن الشعبي:

«مرَّ عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ بكربلاء عند مسيره إلى صفّين وحاذى نينوى ـ قرية على الفرات ـ فوقف وسأل عن اسم هذه الأرض.

فقيل: كربلاء.

فبكى حتى بلّ الأرض من دموعه ثم قال: دخلت على رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وهو يبكي فقلت: ما يُبكيك؟.

قال: كان عندي جبرائيل آنفاً وأخبرني أن وَلَدي الحسين يُقتلُ بشاطىء الفرات بموضع يُقال له: كربلاء. ثم قبض جبرائيل قبضةً من تراب شُمَّني إياه، فلم أملك عينيَّ أن فاضتا»[2].

٣ ـ ويقول ابن حجر في موضع آخر:

«. . . فقال جبرائيل: ستقتله أُمّتك.

فقال ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ابني؟

(١) الصواعق ص ١٩٢.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ١٩٣.

قال: نعم وإن شئت أخبرتك بالأرض التي يُقتل فيها، فأشار جبرائيل بيده إلى الطفّ بالعراق فأخذ منها تربةً حمراء فأراه إياها وقال: هذه من تربة مصرعه»[1].

في ضوء المجموعة الكبرى من الأحاديث الواردة في صحاح السنّة وسننهم ومسانيدهم من هذا القبيل يتضح أن أرض كربلاء كانت تُعدُّ عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأمير المؤمنين والمحدثين الإسلاميين من الأماكن والبقاع المقدسة المحترمة، وأن ترابها الطاهر المطهّر يحظى بأهمية وميزةٍ خاصةٍ.

فقد جاء في بعض الأحاديث الإسلامية إن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان عندما يشمُّ تراب كربلاء تدمع عيناه ويبكي على تلك التربة ويقول: «طوبى لك من تربة»[2].

ومن جانب آخر، فمن الواضح أن السجود وإن كان يجوز على كل أنواع التراب والحجر والأرض الطاهرة، ولكن السجود على الأرض والتراب الذي يتمتَّع ـ مضافاً إلى الطهارة والنظافة ـ

---

(١) الصواعق المحرقة، ص ١٩٣.
إنّ الأحاديث الإسلامية في هذا الصدد في كتب الشيعة والسنّة كثيرة، وللتوسّع ومزيد الاطلاع يمكن مراجعة: كنز العمال، ج ١٣، ص ١١١ ـ ١١٢، والخصائص (السيوطي)، ج ٢، ص ١٢٥، ومناقب ابن المغازلي، وبحار الأنوار ج ٤٤، والمعجم الكبير (للطبراني)، ص ١٤٤، والعقد الفريد، ج ٢، والصواعق المحرقة، وعشرات الكتب الحديثية الأخرى.

(٢) هوامش إحقاق الحق، ج ١١، ص ٣٤٧ نقلاً عن المعجم الكبير، وتهذيب التهذيب، وكفاية الطالب (الگنجي الشافعي) ومقتل الحسين (للخوارزمي) وغيره.

بالقداسة والاحترام المعنوي الخاص أيضاً، يحضى بالأولوية.

من هاتين المقدمتين نستنتج أن السجود على تراب الأراضي المقدسة مثل مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومنها تراب أرض كربلاء التي ثبتت مضافاً - إلى طهارتها - قداستها المعنوية يتمتع بأفضلية وامتيازٍ أكبر، وأكثر، لأن الأراضي المذكورة ترتبط بالمقدسات الإسلامية، أو تنتسب إلى أولياء الله، والمقرّبين إليه، فشرافة تلك الأراضي والبقاع نابعة من شرافة أصحابها الإلهيّين من الأولياء المكرَّمين.

٢ - الدليل الثاني الذي نأتي به هنا عبارة عن أحاديث الأئمة الطاهرين من عترة النبي وأهل بيته الذين ثبتت حجيتها من ناحية السنّة النبوية في الأبحاث السابقة، لأن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - دعا الناس إلى اتّباع عترته وأهل بيته وصرّح بحجية حكمهم إلى جانب حكم القرآن الكريم.

نقرأ في وسائل الشيعة ما يلي:

«كان لأبي عبد الله - جعفر بن محمد الصادق - عليه السلام - خريطة من ديباج صفراء فيها من تربة أبي عبد الله - عليه السلام - فكان إذا حضرته الصلاة صبَّه على سجادته وسجد عليه»[1].

وجاء في نفس ذلك الكتاب:

«كان الصادق - عليه السلام - لا يسجد إلا على تربة

---

(١) وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٦٠٨.

الحسين ـ عليه السلام ـ تذلُّلاً لله واستكانةً له»[1] .

لاحظ جملة: تذلُّلاً لله واستكانةً له، فإنها تبيّن حكمة السجود على هذه التربة.

وهنا لا بد من التذكير بنقطتين.

أ ـ إن سجود أئمة أهل البيت على تربة كربلاء أو توصيتهم بذلك إنما هو لأجل استحباب السجود على تربة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ وإنّ جميع أئمة الشيعة وفقهائهم متّفقون على هذه الحقيقة وهي أن السجود على تربة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ ليس بواجبٍ، بل هو أمر راجح وفضيل ومستحبّ.

ب ـ إن التزام أهل البيت بالسجود على تربة الإمام الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ إنما هو لأجل أن ذلك الإمام استشهد في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمة التوحيد وترويج الإسلام، ولهذا حظي بالمودة والعناية الإلهية الخاصة.

وعلى هذا فإنّ أئمة الشيعة المعصومين رجَّحوا ـ تَبَعاً لمحبَّة الله لهذا الجندي المجاهد والفدائي الشهد (الإمام الحسين) ـ السجود على تربة هذا الإمام، وبهذا الطريق اكتسبوا قدراً أكبر من رضا الله سبحانه، وعمّقوا تواضعهم وخضوعهم أمام الله تعالى.

من هنا نقرأ في الحديث الثاني أن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ كان يسجد على هذه التربة فقط تذلُّلاً لله واستكانةً له تعالى.

---

(١) المصدر السابق.

في ضوء ما مضى اتَّضح أن السجود على تربة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ من منظار عترة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأئمة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ الذين هم حسب رواية الثقلين قرناء القرآن الكريم، أحسن وأفضل.

وعلى هذا الأساس فإن الشيعة الذين هم الأتباع الصادقون للسنّة والسيرة النبوية، وسيرة عترته الطاهرة، يذهبون إلى استحباب السجود على تربة الإمام الحسين وتراب كربلاء، ويُرجّحون أن يضعوا جباههم ـ في حال الصلاة ـ على ذلك التراب المقدس المطهَّر، وبهذا الطريق يظهرون غاية الخضوع والتذلُّل أمام الله الواحد الأحد.

جـ ـ حيث إن ابن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسبطه الأصغر الحسين بن علي ـ عليه السلام ـ وأبناءه وأصحابه الكرام الأوفياء، ثاروا في وجه الحكومة الأموية وبدعها وتحريفاتها بغية الدفاع عن الشريعة المحمدية والدفاع عن التوحيد والإسلام، ونالوا الشهادة في هذا السبيل، ولهذا فإن إحياء ذكرى ثورتهم، وتكريم تضحياتهم في سبيل الإسلام والقرآن يعني في حقيقته إحياء الشريعة الإسلامية المقدّسة وتكريمها، وتخليدها.

لقد أوضح الإمام الحسين بن علي ـ عليه السلام ـ في مسيره إلى كربلاء هدفه، وحكمة ثورته ونهضته المقدسة إذ قال:

«إني ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مُفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي. أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المُنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب»[1].

يتَّضح أن الإنسان المسلم عندما يُشاهد تربة الحسين عليه السلام ـ عند السجود وفي كل صلاة ـ وعندما يضعون جباههم على تلك التربة المقدسة يتذكَّرون تضحيات أولئك الرجال العظام المقرّبين عند الله تعالى، الذين ضحوا بأموالهم وأنفسهم وأولادهم وأصحابهم لإعلاء كلمة الشريعة الإلهية، ويتعلّمون من هذه الحادثة الكبرى دروس الحرية والشرف والدفاع عن كيان الإسلام.

وعلى هذا الأساس لا يكون السجود على تراب كربلاء حيث مصارع الشهداء في سبيل الله الواحد الأحد، عدم خروجٍ عن جادة التوحيد فحسب بل يعمّق سجوده الخالص لله، ويهيىء المسلمين لعبادة الله ببصيرةٍ أكثر واستعدادٍ أكبر للتضحية في سبيل الإسلام والقرآن.

إلى هنا يتّضح أن اعتقاد المسلمين الشيعة باستحباب السجود على تربة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ أمر مشروع من منظار سنّة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وسيرته العملية وسيرة أهل بيته وعترته العملية، ومن منظار العقل

---

(١) عوالم العلوم ج ١٧ ص ١٧٩، بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٣٢٩.

الإنساني السليم، وهو يتفق تمام الاتفاق مع أصول التوحيد.

يقول العلاّمة الكبير: آية الله الأميني - رضوان الله عليه - في كتابه القيّم «سيرتنا وسنّتنا»:

«أليس أجدر بالتقرُّب إلى الله وأقرب بالزُّلفى لديه وأنسب بالخضوع والخشوع والعبودية له تعالى أمام حضرته، وضع صفحة الوجه والجباه على تربة في طيّها دروس الدفاع عن الله، ومظاهر قدسه، ومجلى التَّحامي عن ناموسه ناموس الإسلام المقدس؟.

أليس أليق بأسرار السجدة على الأرض السجود على تربةٍ فيها سرُّ المنعة والعظمة والكبرياء والجلال لله جلّ وعلا، ورموز العبودية والتصاغر دون الله بأجلى مظاهرها وسماتها؟.

أليس أحقّ بالسجود تربة فيها بيّنات التوحيد والتفاني دونه؟ تدعو إلى رقة القلب ورحمة الضمير والشفقة والتعطّف»[1].

وهكذا كتب العالم الشيعي الكبير العلامة كاشف الغطاء رحمة الله عليه في هذا الصعيد يقول:

«ولعلَّ السرّ في التزام الشيعة الإمامية (استحباباً) بالسجود على التربة الحسينية، مضافاً إلى ما ورد في فضلها، ومضافاً إلى أنها أسلم من حيث النظافة والنزاهة من السجود على سائر الأراضي، وما يُطرح عليها من الفُرُش والبواري والحُصُر الملوَّثة

---

(١) سيرتنا وسنّتنا ص ١٤١.

والمملوءة غالباً من الغبار والميكروبات الكامنة فيها، مضافاً إلى كل ذلك، ـعلّه من جهة الأغراض العالية، والمقاصد السامية أن يتذكَّر المصلّي حين يضع جبهته على تلك التربة، تضحية ذلك الإمام نفسه وآل بيته، والصفوة من أصحابه في سبيل العقيدة والمبدأ، وتحطيم الجور، والفساد والظلم، والاستبداد»[1].

التربة الحسينية والتَبَرّك بآثار أولياء الله:

وهنا يطرح سؤال آخر وهو: أن السجود على تربة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ والالتزام به، والحكم باستحبابه نوع من التبرّك بآثار الأولياء من المقرَّبين عند الله. ترى هل يتلاءم التبرّك بأولياء الله وآثاره مع روح التوحيد في العقيدة والعبادة؟.

للإجابة على هذا السؤال نُلفت نظركم إلى بحثٍ بعنوان «التبرّك بآثار أولياء الله».

إن التبرّك بآثار أولياء الله ليست مسألة ظهرت بين جماعة من المسلمين الآن، بل إنّ لهذا السلوك جذوراً في أعماق التاريخ الإسلامي وبالذات في حياة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وصحابته.

بل ليس رسول الإسلام ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأصحابه هو الذي فعل هذا إنما فعله الأنبياء الذين سبقوه

---

(١) الأرض والتربة الحسينية.

أيضاً، وإليك الأدلّة على مشروعية التبرّك بآثار الأولياء من منظار الكتاب والسنّة:

١ ـ جاء في القرآن الكريم أنه عندما عرَّف يوسف الصدّيق نفسه لإخوته فعرفوه وعفا عنهم قال: ﴿ **إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأتِ بصيراً** ﴾[١].

ثم يقول القرآن الكريم: ﴿ **فلمّا أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتدَّ بصيراً** ﴾[٢].

هذا الكلام القرآنيُّ الصريح، شاهد صدقٍ ودليل واضح على تبرّك النبي يعقوب بثوب نبيٍّ (يوسف)، بل يبيّن أن الثوبَ المذكور كان سبباً في عودة البصر إلى عيني النبي يعقوب عليه السلام.

فهل يمكن أن نعتبر صنيع هذين النبيين الطاهرين خروجاً من جادة التوحيد؟!.

٢ ـ لا شكّ أن النبيَّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان عند الطواف بالكعبة المعظّمة ـ يستلم الحجر الأسود أو يقبّله.

يقول البخاري في صحيحه: سأل رجل عبد الله بن عمر عن استلام الحجر الأسود فقال في معرض الإجابة عليه:

«رأيت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يستلمه

(١) سورة يوسف، الآية ٩٣.
(٢) سورة يوسف، الآية ٩٦.

ويقبّله»[1] .

في حين إذا كان لمس حجرٍ أو تقبيله شركاً بالله، لم يكن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلمـ (الذي هو ركن من أركان التوحيد ومعلم من معالمه) ليفعل هذا العمل.

٣ ـ إننا نلاحظ في كتب الصحاح والسنن والمسانيد وفي كتب التاريخ أحاديث كثيرة جداً حول تبرُّك صحابة النبي بآثاره ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ مثل اللباس، وماء الوضوء، وإناء الشرب وغيرها، ونظرة فاحصة إليها لا تبقي أيَّ شكٍّ في مشروعية هذا الصنيع وحُسنه.

إن ذكر هذه الأحاديث برمّتها غير ممكّن في هذه الدراسة العاجلة، ولكن ندرج ـ مع ذلك ـ بعض هذه الأحاديث على سبيل المثال:

أ ـ روى البخاري في صحيحه، حديثاً طويلاً تضمَّن وصفاً لخصائص وأوصاف رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأصحابه معه جاء فيه:

«وإذا توضّأ كادوا يقتتلون على وضوئه»[2] .

ب ـ وقال ابن حجر:

«إن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ كان يؤتى بالصبيان

---

(١) صحيح البخاري، الجزء ٢، كتاب الحج، باب تقبيل الحجر، الصفحة ١٥١ ـ ١٥٢ طبعة مصر.

(٢) صحيح البخاري، ج ٣، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، ص ١٩٥.

فيبركُ عليهم»(١) .

ج ـ وقال محمد طاهر المكي:

«روي عن أم ثابت أنها قالت: دخل عليٌّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فشرب من في قربةٍ معلَّقةٍ قائماً فقمت إلى فيها فقطعته».

ثم أضاف قائلاً:

«رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ويقول شارح هذا الحديث في كتاب رياض الصالحين: وإنّما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وتتبرّك به، وكذا كان أصحاب رسول الله يحرصون على أن يشربوا من سؤر رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ»(٢) .

د ـ «كان رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا صلّى الغداة جاء خدم المدينة بآنيتهم فيها الماء، فما يؤتى بإناءٍ إلا غمس يده فيها، فربما جاءوه في الغداة الباردة فيغمس يده فيها»(٣) .

وهكذا تتَّضح أدلة جواز التبرّك بآثار أولياء الله ويتبيّن أن

---

(١) الإصابة، ج ١ خطبة الكتاب، ص ٧، طبعة مصر.

(٢) تبرك الصحابة، محمد طاهر المكي، الفصل الأول.

(٣) صحيح مسلم، الجزء ٧، كتاب الفضائل، باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبرّكهم به ص ٧٩.
ولمزيد الاطلاع يمكن مراجعة المصادر التالية:
أ ـ صحيح البخاري، كتاب الأشربة.
ب ـ موطأ مالك، ج ١، ص ١٣٨، باب الصلوات على النبي.

الذين يتّهمون الشيعة بسبب هذا السلوك، بالشرك وعبادة غير الله لم يوضحوا ولم يحدّدوا معنى التوحيد والشرك لأن الشرك وعبادة غير الله يعني أن تؤلّه أحداً غير الله، أو تنسب إليه الأفعال الإلهية بحيث تعتبره أصل الوجود، أو مؤثراً على نحو الاستقلال والأصالة ومن دون الحاجة إلى الله.

في حين أن الشيعة يعتبرون أولياء الله بشراً مخلوقاً لله مثلهم، يشاركونهم في احتياجهم إلى الله الواحد الأحد في أصل وجودهم وفي آثارهم. فهم مثل سائر البشر مفتقرون إلى الله تعالى وجوداً وبقاءً وآثاراً.

إنّ الشيعة لمجرّد احترامهم لأئمتهم السابقين وبغية إظهار المودة الخالصة لهم يتبرّكون بآثارهم.

إذا وجدنا الشيعة يُقبّلون ـ عند زيارة مرقد النبي ومراقد أهل بيته المكرّمين، وأضرحتهم، أو يستلمون جدران تلك المراقد وأبوابها ويمسّونها فإنّما يفعلون ذلك لأنهم يحبُّون النبي وأهل بيته الكرام حباً كبيراً، وهذه مسألة عاطفية تتجلى في كل إنسانٍ محبٍّ عاشقٍ.

يقول الشاعر:

أمُرُّ على الدِّيارِ ديارَ لَيْلى أُقَبِّل ذا الجدارَ وذا الجدارا
وما حبُّ الدِّيارِ شَغَفْنَ قلبي ولكن حُبَّ من سَكَنَ الدِّيارا

من هنا وعلى هذا الأساس يكون السجود على تربة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ وكذا التبرُّك بها إنّما هو لأجل أن ذلك الإمام الكريم ومن استُشهد من أبنائه وإخوته وأصحابه في أرض

كربلاء محبوبون عند الله، وأن تعظيمهم وتكريمهم تعظيم ـ في الحقيقة ـ لشعائر الله، وقد مدح القرآن الكريم تعظيم شعائر الله إذ قال:

﴿ ومن يُعظّمْ شَعائِرَ الله فإنّها مِن تَقْوى القُلُوبِ ﴾[1] .

(١) الحج: الآية ٣٢.

الفهرس

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف: ٨٢٠٣٢٠-٨٣٤٢٦٥ - فاكس: ٦٠٣٣٧٩-٨٢١٢٠٣
خليوي: ٢١٦٩٣٩ / ٠٣ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان